عبارة النضال الفلسطيني الممتد معناها الأساسي، وتمنح المصداقية للقول ان حركة التحرّر الفلسطيني هي الأطول عمراً بين حركات التحرر كافة في هذا القرن.

القوى المشاركة

اذا لزمنا جانب التعميم، أمكننا القول ان مختلف شرائح الشعب الفلسطيني انحازت الى الثورة العام ١٩٣٦، والى الانتفاضة العام ١٩٨٧، فشاركت فيها. غير انه، عند التطرّق الى التفاصيل، ينبغي الاشارة الى ان المشاركة الجماهيرية العامة، دون استثناء لأية طبقة أو فئة أو شريحة اجتماعية أو عمرية، هي أبرز مظاهر الانتفاضة، بينما لم يكن الأمر على هذا النحو من المشاركة ابّان ثورة العام ١٩٣٦. فممّا ميّز تلك الثورة اتساع حجم مشاركة الفلاحين وطبقة العمال الناهضة، مع استثناءات لا يستهان بها في ما يتعلق بقطاع الموظفين وابناء المدن، وبخاصة كبار الملّاك وكبار التجار وأصحاب الوجاهة الاجتماعية التقليدية. وقد أظهرت دراسة تناولت ٢٨٢ قائداً ممّن تولّوا مختلف المناصب القيادية في الثورة انتماء ٦٥ بالمئة منهم الى الفلاحين، وثلاثة بالمئة الى فلاحين استقروا في المدن، واثنين بالمئة الى سكان المدن، وثمانية بالمئة الى البدو، والباقين الى الاقطار العربية المجاورة لفلسطين بنسبة اثنين وعشرين بالمئة[٢٩]. ويعتبر البعض ان الاضراب الكبير، في المرحلة الاولى من الثورة، بين نيسان (ابريل) وتشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٦، لم يتوقف، وانما تعرّض للاجهاض بفعل عدم اشتراك قطاعات هامة من الشعب فيه. ومن هذه القطاعات الموظفون الحكوميون ورجال البلديات. فالموظفون اكتفوا بتقديم مذكرة شديدة اللهجة الى سلطة الانتداب بعد مرور اكثر من شهرين على بداية الاضراب، في حين كان اشتراكهم الفعلي ضرورياً لاحداث ارتباك خطير في أجهزة الحكومة كلها؛ أمّا البلديات، فقد عقد رؤساؤها اجتماعاً ليقرّروا ما يفعلونه؛ ونتيجة لتدخل سلطات الانتداب، أضرب نصف رؤساء البلديات وبقي النصف الآخر مداوماً في عمله[٣٠].

من جهة أخرى، لم تحبّذ اللجنة العربية العليا (القيادة الفلسطينية) انضمام الموظفين الى الاضراب ومقاطعة السلطات[٣١]. وفي السياق ذاته، لاحظت القيادة العسكرية للثورة ان بعض الموسرين آثروا، في عمومهم، السلامة وأحجموا عن الاسهام معهم في أداء ضريبة الدم[٣٢].

ونتيجة المشاركة الجادّة والمميّزة للفلاحين في الثورة، حاولت سلطات الانتداب اثارة الفلاحين على سكان المدن (الأفندية) كوسيلة لضرب الثورة، وأُلقيت المنشورات على القرى التي تزيّن للفلاحين مقاطعة الثوار. وكان ممّا تضمنته المنشورات ان الثورة قضت على مصالحهم، وان الاغنياء هم الذين يطلبون الى الفلاحين تقديم تضحيات، في حين انهم ينعمون بحياة المدن ولا يعرضون ارواحهم للخطر[٣٣]. ومع هذه الاحجامات من قبل بعض القطاعات الجماهيرية، فقد شاركت قطاعات أخرى الى جانب الفلاحين بادوار هامة. ومن ذلك مشاركة بعض رجال الشرطة الفلسطينيين، وبخاصة من صغار الرتب، وتعاونهم مع الثوار، حتى ان بعضهم التحق بصفوف الثوار. وكان طلاب المدارس، كعادتهم، أصحاب اليد الطولى في اعمال التظاهر والاضراب. وذكر محمد عزة دروزة، في شهادته عن الثورة ودور الاطفال فيها، ان «مراهقين التحقوا بصفوف الثوار وأبلوا بلاء حسنا، ومنهم من كان جريئاً جرأة عجيبة غير متناسبة مع سنّه... وكانت لهم، ولاطفال أصغر سناً، نوادر طريفة في هذا الباب»[٣٤]. ويستحضر هذا القول صورة مشرقة لماضي آباء أطفال الحجارة في الانتفاضة المعاصرة.

لقد كانت ظاهرة انعدام المشاركة الجماهيرية العامة أحد المآخذ التي يمكن ملاحظتها عند متابعة تجربة الثورة الكبرى العام ١٩٣٦. ومن هذا المنطلق، ينبغي ان نقوّم ايجابياً المشاركة الشاملة